الأشـــتر النخعـــي

ودوره فـي « الفتنـة الكبرى »

(١٤ - ٣٧ هـ / ٦٣٥ - ٦٥٧ م)

د. شيخة أحمد صالح الخليفي

قســـم التاريـخ

كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

جامعـة قطـر

الأشـتر النخعـي
ودوره فـي « الفتنـة الكبرى »
(١٤ - ٣٧ هـ / ٦٣٥ - ٦٥٧ م)

د. شيخة أحمد صالح الخليفي
قســـم التاريـــخ
كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية
جامعـــة قطـــر

ملخص البحث :

يمثل بروز الأشتر على مسرح الأحداث ودوره في مسيرة «الفتنة الكبرى»، إذ بدأ بالظهور في بدايتها وتوفي في تاريخ قريب من نهايتها، تميز سلوكه بأنه كان مُحرِّضاً ومُثيراً للفتنية، وسبب ذلك هو العداء لقريش لانفرادها بالسلطة وتميز أبنائها بالعطاء، وكان المُعبِّر عن توجهات بيئته الكوفية، وقبيلته النخ المتعصبة للكوفة وللإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وبالرغم إنه لم يُتهم بقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، إلا أنه ساعد عليه، وكان من المُثيرين الرئيسيين للاقتتال بين المسلمين سواد في موقعة الجمل أو صفين.

❁ ❖ ❁ ❖ ❁

Al-Ashter Al-Nakhaie and his Role in the Great Turmoil [*] 14-37 Hijra / 635-657 AD

Dr. Shaikha Ahmed Saleh Al-Kholaifi
Department of History
College of Humanities and Social Sciences
University of Qatar

Abstract

The emergence of Al-Ashtar on the theatre of events is represented by his role in the procession of the "Greart Turmoil". He has appeared at its start and died near its end. Hsi behavier during this turmoil was characterized as a provoker and a stimulant. The reason for that was his hostility towards Ghoraish due to its autocracy and the privilege of its youth by giving. He was the indicative of his Kofi environment and Al-Nakhaa tribe, which is fanatic to Al-Kofa and Imam Ali Ibn Abi Taleb (May God be pleaed with him). Although he was not accused of murdering the Caliph Osman Ibn Affan (May God be pleased with him), but he has assisted in that. He was one of major agitators for fighting between Muslimes, whether at The Camel Battle or Soffen Battle.

(*) The year 14H represents the start of Al-Ashtar appearance at Al-Yarouk, but the Great Turmoil was during 32H - 37H.

كان الأشتر أحد فرسان العرب وشعرائهم كما اتفق المؤرخون عند الترجمة له[١]، له مواقف برز فيها مع الخليفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كما سنعرض لسيرته، وهو ينسب إلى قبيلة النخع وهي «من مذحج، والنخع بن عامر بن عمرو بن عُلّة بن جلد بن مالك بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ من القبائل القحطانية التي سكنت اليمن قديماً ثم خرجت مع القبائل الفاتحة عند الفتح الإسلامي، وقد سُمي النَخع لأنه نخع عن قومه أي بعُدَ، ومن بطونهم صُهبان، ووهبيل، وجَسْر وجذيمة وقيس وحارثة وبنو سعد بن مالك وبطون كثيرة»[٢].

أما منازل القبيلة فتوصلنا روايات متعددة إلى تحديدها بدقة، إذ يرد في أخبار الردة أن قامعها عكرمة بن أبي جهل الذي انطلق من مهرة، اجتمع بعامة النخع في أبين[٣] التي يُعرِّفها ياقوت «بأنه مخلاف في اليمن منه عدن ويذكر أحياناً باسم عدن أبين»[٤]، ويأتي الهمداني ليحدد منازل القبيلة ضمن هذا المخلاف بدقة أكثر فيقول «بأن القَطْف والفرع والعفة وسمع ومرحب للنخع، وهي حول البيضاء حسب تحديد الأكوع محقق الكتاب الذي يضيف بأن للنخع بقية في أوطانها يُقال لهم النخعيون، وبلاد النخع في الجنوب الشرقي من البيضاء»[٥].

تأخر إسلام قبيلة النخع حتى أن وفدهم كان آخر الوفود قدوماً على رسول الله ﷺ في المحرم سنة ١١هـ/٦٣٢م، وكانوا قد بايعوا معاذ بن جبل باليمن وقد دعا لهم الرسول الكريم ﷺ وقال: اللهم بارك في النخع، وعقد لأرطأة بن شراحيل لواء على قومه شهد به القادسية[٦]، عندما قامت الردة في خلافة أبي بكر الصديق سنة ١١هـ/٦٣٢م، ففي رواية سيف «لما سار عكرمة بن أبي جهل نحو اليمن جمع النخَع بعد من أصاب من مدبريهم. فسألهم: كيف كنتم في الردة؟ فقالوا: كنا في الجاهلية أهل دين لا نتعاطى ما

تتعاطى العرب بعضها من بعض، فكيف بنا إذا صرنا إلى دين عرفنا فضله، ودخلنا حبه! فسأل عنهم فإذا الأمر كما قالوا واستبرأ النخع »[٧].

أدى القضاء على الردة إلى استنفار العرب للجهاد، وإذا ألقينا الضوء على قبيلة النخع لنعرف الاتجاه الذي سارت فيه والموطن الذي نزلت به بعد الفتح، فيظهر في خلافة عمر بن الخطاب (ر) سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م حينما أراد توجيه الناس للفتح الإسلامي مع سعد بن أبي وقاص كإمدادات عسكرية، حين كتب إلى عماله (لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إليّ والعجل العجل)، فوصلت المدينة إمدادات من أهل اليمن وكان عددهم أربعة الآف مقاتلتهم وذراريهم ونساؤهم، منهم النخع بن عمرو في ألفين وثلاثمائة، «فأتاهم عمر في عسكرهم وقال لهم : إن الشرف فيكم معشر النخع لمتربع، سيروا مع سعد. فأرادهم جميعاً الذهاب نحو العراق، فأبوا إلا الشام، وأبى إلا العراق، فسمح لنصفهم نحو العراق، وأمضى الآخر نحو الشام »[٨].

ومما يسترعي الانتباه أن هجرة القبائل لم تسر وفق خطة موضوعة تحدد كل قبيلة خط سيرها وموطن نزولها، فالقبائل التي اتجهت لفتح منطقة كان الأمر ينتهي بها غالباً إلى الاستقرار بها، وهكذا استقرت النخغ في الكوفة، فهي وإن آثرت الشام ولكن أمام إصرارهم اضطر عمر (ر) لتوجيه نصفهم إلى الشام والنصف الآخر إلى العراق، وقد عُرفت القبيلة بشجاعة رجالها واستبسالهم في حروب الفتح خاصة القادسية التي استشهد فيها الصحابي أرطأة بن شراحيل النخعي، كما كانت الفئة الفاتحة من النخع تضم أعداداً كبيرة من النساء حوالي سبعمائة امرأة فارغة شاركن في القادسية، وتزوج منهن المهاجرون، فحملت هذه القبيلة لقب أصهار المهاجرين أو أختان المهاجرين[٩].

وإذا انتقلنا إلى شخصية الأشْتر فاسمه هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج، أما الأشْتر فهو لقب له واشتهر به لأن عينه شترت يوم اليرموك، وكان ممن سماهم ابن قتيبة في «العور»، والشتر بالتحريك انقلاب في جفن العين من أعلى إلى أسفل أو استرخاء أسفله[١٠]. ويصنفه ابن حجر فيمن كان على عهد النبي ﷺ ولم ينقل عنه[١١]، وقد شهد خطبة

الخليفة عمر بن الخطاب (ر) بالجابية، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين بالكوفة، وقد روى عن عمر وعثمان وخالد بن الوليد وأبي ذر وعلي - رضي الله عنهم- [١٢].

وإذا تتبعنا أهم أعماله ، فقد شهد الأشتر موقعة اليرموك، وذكر ابن عساكر عن رواته «أنه كان الأحسن فيها» [١٣]. كما قال عنه أحد الروم: «أكثر الله في قومي مثلك! أما والله لو أنك من قومي لآزرت الروم ، فأما الآن فلا أعينهم» [١٤]، وابن الأعثم يذكر «أنه بارز ماهان قائد الروم، فقال له ماهان: أنت صاحب خالد بن الوليد؟ قال : لا، أنا مالك النخعي صاحب رسول الله ﷺ ، فحمل ماهان على مالك فضربه بعمود في جبهته فشترت عينه ومن ذلك سُمي الأشتر، فصبر وكان من فرسان العرب وحمل على ماهان حتى ولى منهزماً» [١٥].

ثم يذكره البلاذري بعد معركة اليرموك «أن أول من قطع درب بغراس في الثغور الشامية هو ميسرة بن مسروق العبسي، ثم لحق به مالك الأشتر النخعي مدداً من قبل أبي عبيدة وهو بأنطاكية» [١٦].

وعن اشتراك الأشتر في القادسية فمختلف فيه ، حيث يورد الطبري عن أحد رواته كتاب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح بأن اصرف جند العراق إلى العراق «وهم الذين كانوا مع خالد بن الوليد، فأمر على جند العراق هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، وكانوا عشرة الآف إلا من أصيب منهم فأتموهم بأناس ممن لم يكن منهم؛ ومنهم قيس والأشتر وكان ذلك سنة ١٣هـ/٦٣٤م فساروا حتى قدموا على سعد بن أبي وقاص بالقادسية» [١٧].

بعدها لا يرد ذكر للأشتر في أخبار الفتح ولا دور له بأي شكل في معاركه، إلى أن تأتي سنة ٣٠هـ/ ٦٥٠م، فنعرف أنه وقومه النخع كانوا من النازلين بالكوفة، فكانت البيئة المحيطة به والمجتمع الذي نشط به، وفي أوضاعه آنذاك الكثير الذي يحدّد دوافع فعاليات الأشتر ويفسر سلوكه.

ولقد ظهرت في مجتمع عرب الكوفة المنفردين بالظهور على مسرح الأحداث، بوادر اضطراب شديد وانقسام حاد تعود جذوره الأولى إلى الزمن الذي تلا الفتح مباشرة، عندما رفض عمر ابن الخطاب بعد مشاورة كبار الصحابة تقسيم الأرض أو أربعة أخماسها على الفاتحين، وجعلها لأسباب شرحها ملكاً عاماً للمسلمين وأبقى عليها زارعيها يستغلونها ويدفعون عنها خراجاً هو بمثابة أجر لها؛ أما الفاتحون فكان يدفع لهم عطاء مما لدى الدولة من واردات، يتفاوت على أساس القرابة من رسول الله ﷺ وبلائه في الإسلام المعبر عنه بالسبق إليه «القدمة» والتضحية في سبيله سواء في مرحلة الدعوة أو مرحلة الفتح، وبالتالي تراوح العطاء بشكل عام بين خمسة أو ستة الآف درهم في العام في الأعلى ومائتين كحد أدنى للأعراب(١٨).

وخلال الخمسة عشر عاماً التي انقضت منذ سنة ١٥هـ/٦٣٦م عندما أنشأ الخليفة عمر(ر) الديوان وفرض العطاء(١٩) طرأ على مجتمع عرب الكوفة انقسام حاد قبلياً بحفاظ القبيلة على شخصيتها لنزولها في قطاع واحد، لكن الأهم منه هو الانقسام على مراتب أو طبقات على أساس الوضع في الديوان، فأصبح معظم القرشيين فيها ذوي المرتبة العليا خصوصاً إذا كانوا من السابقين إلى الإسلام، إذ يجمعون مرتبتي الشرف العليا القرابة من الرسول ﷺ إضافة للقدمة أو السبق للإسلام، ويليهم الصحابة على درجاتهم من أنصار ومهاجرين، ويليهم من نالوا شرف القدم في أعمال الفتح، ثم الروادف الذين تبعوا الفاتحين الأولين على موجات أولى وثانية وثالثة، ويأتي في المؤخرة الأعراب على أطراف بلد مفتوحة على الصحراء. كان من الطبيعي أن ينقم ذووا المرتبة الدنيا على امتياز الطبقة العليا، وهو ما أكدت عليه رواية سيف بالقول «كانوا يعيبون التفضيل ويجعلونه جفوة، وهم في ذلك يختفون به ولا يكادون يظهرونه، لأنه لا حجة لهم والناس عليهم، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشئ أو أعرابي أو محرَّر (مولى) استحلى كلامهم»(٢٠)، لكن الوضع كان يتحول لصالح الفئات الأخيرة، لأنها كما نلاحظ الرواية ذاتها أن أفرادها «كانوا في زيادة وكان الناس في نقصان»، وهو أمر معقول إذ أن الفئة العليا كانت مغلقة ينقص أفرادها بالموت، بينما كانت الفئات الأخرى تتزايد بفعل الواردين على الكوفة، ونجم عن

التزايد آخر الأمر قوة لهم حتى لهذه الفئة جعلتها تطغى على الفئة العليا بنهاية الفترة السابقة، كما تؤكد رسالة أمير الكوفة سعيد بن العاص سنة ٣٠هـ إلى الخليفة عثمان (ر) والتي يقول فيها: « إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقُدمة، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت، وأعراب لحقت، حتى ما يُنظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلها أو نابتتها »[٢١].

وقد اعتبر هذا التزايد سبب الشر ، ويمكن أن نضيف إليه سبباً آخر في هذه الفترة، وهي أن تلك الفئات التي يقل عطاؤها كانت تعوضه في السابق من غنائم الفتح، أما الآن أي في سنة ٣٠ هـ وما بعدها فقد انكمشت عملياته وقلت عليهم موارده.

وكانت أخبار وضع الكوفة تصل إلى الحجاز، وخشي بعض من كان فيها على أملاكهم بالعراق فلجأوا إلى مبادلتها مع بعض بأراضٍ في الحجاز، بحيث يتنازل رجال القبائل النازلين في العراق عن أملاك لهم في الحجاز للمقيمين فيه مقابل تنازل الأخيرين لهم عن أملاك لهم في العراق.

لقد عاش الأشتر في هذه البيئة، ولهذا فإن السؤال الذي يطرح نفسه لمعرفة دوافع سلوكه المُحرِّض للفتنة هو: إلى أي فئة من فئات أهل الكوفة ينتمي ؟ يظهر لنا أنه لا ينتمي للفئة العليا وذلك بسبب ظروف عديدة ، إذ أن قومه لم يسلموا إلا قبيل وفاة الرسول ﷺ بشهر ونيف مما لا يجعلهم جميعاً ضمن أهل السابقة، أما هو فلم يكن من الوفد الذي بايع الرسول ﷺ ، كما أن مشاركته في أعمال فتح العراق لا يرد لها ذكر، رغم وجود رواة مناصرين له كأبي مخنف على سبيل المثال، وبالتالي فهو ليس من أهل الأيام الأولى الذين ينالون شرف العطاء، ويذكر سيف ما يفيد بشكل غير مباشر على ذلك، ففي معرض ذكره لجلساء والي الكوفة سعيداً بن العاص يقول «كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقراء أهل الكوفة والمتسمّتون، وكان هؤلاء دخلته إذا خلا، فأما إذا جلس للناس فإنه يدخل عليه كل أحد، فجلس للناس يوماً فدخلوا عليه»[٢٢]. ويدل باقي الرواية أن الأشتر كان من جملة الناس.

كانت أولى نشاطات الأشتر التي تبرزها الرواية هي التمرد على الولاة، فقد توجه من الكوفة إلى المدينة لمقابلة الخليفة عثمان بن عفان، وحمل ظلامة أهل الكوفة من الوالي الوليد ابن عقبة، وقد استجاب له الخليفة وعزل الوليد وعيّن على الكوفة سعيداً بن العاص، وعاد الأشتر في صحبة ركب الوالي الجديد إلى الكوفة[٢٣].

وفي سنة ٣٣هـ/٦٥٣م يبرز في مجلس والي الكوفة، وتذكر الرواية أن الأشتر وجماعة من هؤلاء الناس، كانو يسمرون لدى والي الكوفة سعيد بن العاص، فضربوا وفي مقدمتهم الأشتر شخصاً هناك كما تطاولوا على صاحب الشرطة، فكان هذا الانتهاك لمجلس الوالي سبباً أن يحلف أن لا يسمر عنده أحد[٢٤]، فجعلوا يجلسون في مجالسهم يشتمون الخليفة عثمان (ر) وسعيداً، ويجتمع إليهم الناس، فكتب سعيد بذلك «إلى الخليفة عثمان يخبره أن رهطاً من أهل الكوفة يؤلبون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا».

فأمر الخليفة عثمان (ر) بإخراجهم من الكوفة وتسييرهم إلى الشام؛ «وكتب إلى معاوية: أن نفراً قد خلقوا للفتنة فأقم عليهم ، وانههم فإن آنست منهم رشداً فأقبل وإن أعيوك فارددهم» ، ويفهم من الرواية :

١ - أن القوم كانوا يحقدون على قريش ولاة الأمر، ففي مجلس سعيد ذكر إنما السواد بستان قريش، فرد الأشتر: أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك؟ وفي هذا إشارة واضحة إلى أن عدم تقسيم أراضي العراق على الفاتحين له، وجعل مواردها للدولة تنفق منه في العطاء الذي تنال منه قريش حصة الأسد بناءً على القرابة والسبق.

٢ - أما في مجلس معاوية فقد قال «أحد الرجال المسيرين مع الأشتر: أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا بها، وأما ما ذكرت من الجُنَّة (وكان يقصد بها الأئمة أي بهم المنعة) فإن الجُنَّة قد اخترقت وخَلِصَ إلينا[٢٥]، ثم وثبوا على معاوية فأخذوا برأسه ولحيته، فقال : إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم

عنكم حتى يقتلوكم؛ ثم كتب معاوية إلى الخليفة عثمان مخافته من أن يفسدوا الشام عليه: ولست آمن إن أقاموا وسط الناس أن يغروهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم»(٢٦).

فكتب الخليفة عثمان (ر) يأمره أن يردهم إلى الكوفة، فردّهم فلم يكونوا إلا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا؛ ثم كتب سعيد إلى الخليفة عثمان (ر) يضجّ منهم، فكتب الخليفة عثمان (ر) «أن سيرهم إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد» وكان أميراً على حمص، وكتب إلى الأشتر وأصحابه: أما بعد فإني سيرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها، فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شراً والسلام(٢٧).

وفي سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م يبرز يزيد بن قيس حيث بعث يدعو الأشتر والمسيرين ويطلب منهم العودة، فرجع الأشتر فلم يفاجأ الناس - يوم الجمعة - إلا والأشتر على باب المسجد يؤلب الناس على الوالي والخليفة، وكان هدفهم الاستغناء عن سعيد من ولاية الكوفة، وذكر الأشتر أنه جاء من عند أمير المؤمنين عثمان بن عفان وترك سعيداً عنده، وهو يريد تحديد ونقص (عطاء) نسائكم إلى مائة درهم، ورد عطاء أهل البلاء إلى ألفين، كما يزعم أن فيئكم بستان قريش(٢٨)، وخرج الأشتر مع يزيد بن قيس لرد الوالي سعيد، وطلب أمير غيره فعسكروا، فالتقوا معه في طريق عودته من المدينة إلى الكوفة في مكان يُقال له الجرعة (مكان مشرف قرب القادسية) فقالوا : لا حاجة لنا بك، فرد عليهم: إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً وتضعوا إليّ رجلاً، وهل يخرج الألف إلى رجل، ثم انصرف عنهم، وتحسوا بمولى له فقال: والله ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع فضرب الأشتر عنقه(٢٩).

ويظهر الطبري صورة الأشتر وعلى وجهه الغبار وهو متقلد السيف يقول: والله لا يدخلها سعيد علينا ما حملنا سيوفنا وذلك يوم الجرعة. ومضى سعيد إلى الخليفة عثمان فأخبره الخبر قال: فمن يريدون؟ قال: أبا موسى الأشعري. قال: قد أثبتنا أبا موسى عليهم والله لا نجعل لأحد عذراً، ولا نترك لهم حجة، ولنصبر كما أمرنا حتى نبلغ ما يريدون (٣٠).

وصل الأشتر إلى أوج التمرد بالاشتراك في الثورة على الخليفة ذاته في شوال سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م عندما خرج الثوار من أمصارهم مصر والبصرة والكوفة؛ وكان في أهل الكوفة الأشتر النخعي، المقلل يذكر أنهم ستمائة والمكثر ألف، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما خرجوا كالحجاج؛ وفي رواية وثاب: «بعثني عثمان فدعوت له الأشتر، فجاء فسأله عثمان: يا أشتر ما يريد الناس مني ؟

قال : ثلاثاً ليس من إحداهن بُدّ، يخيرونك أن تخلع لهم أمرهم فتقول : هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وبين أن تُقص من نفسك، فإن أبيت هاتين، فإن القوم قاتلوك، فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلينه الله عز وجل». فقام الأشتر فانطلق، فمكثنا أياماً، ثم يبرز الغلام الذي معه الكتاب فكروا إلى المدينة، وقد تخلف بها عدد منهم الأشتر[٣١].

أما في الحصار لبيت عثمان فهناك من يقول إنه اعتزل ، حيث يذكر محمد بن عمر الواقدي أن الأشتر قدم في أهل الكوفة وقدم حكيم بن جبلة في أهل البصرة، فاعتزل الأشتر واعتزل حكيم، فكان ابن عُدَيس البلوي وأصحابه من أهل مصر هم الذين حاصروا عثمان[٣٢] . وهناك رواية أنه عند حصار عثمان ومنع الماء، وبعد خطبة لعثمان ذكر فيها فضله بشراء آبار للمسلمين من ماله ويمنع عنه الماء العذب لإفطاره، وكذلك وسع المسجد من ماله ويُمنع من الصلاة فيه، وتقول الرواية إن الناس جعلوا يقولون : مهلاً عن أمير المؤمنين، وفشا النهي وقام الأشتر - ولا أدري يومئذ أو آخر - فقال : لعله قد مكر به وبكم فوطئه الناس[٣٣].

ثم يبرز الأشتر عند مبايعة علي بن أبي طالب، يكره اثنين من كبار الصحابة على البيعة وهما طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام بعد أن تلكأ في مبايعة علي، فقام الأشتر وسل سيفه وقال : والله لتبايعن أو لأضربن ما بين عينك، أما الأشتر فقد قبض يد علي فقال له : أبعد ثلاثة، أما والله لئن تركتها لتقصرن عنيتك، فبايعه العامة، وقال الأشتر: أبايعك يا أمير المؤمنين على أن عليّ بيعة أهل الكوفة[٣٤].

يعكس مضمون الرواية السالفة ومضمون عدة روايات مشابهة أخرى يرويها الطبري، حرص الأشتر على بيعة علي، مما يدفع للتساؤل فيما إذا كان هذا الحرص عن قناعة باستخلافه وإخلاص له أم أن وراءه دوافع أخرى؟ وقد أورد ابن شبة في تاريخ المدينة رواية أخرى تقول : «جاءت امرأة الأشتر إلى علي - رضي الله عنه - فقالت : يا أمير المؤمنين، سمعت من عدو الله مقالة ما وسعني القيام معه عليها. قال : وماذا سمعت ؟ قالت: سمعته يقول قتلنا بالأمس خير خلق الله، واستعملنا شر خلق الله، يعنيك يا أمير المؤمنين»[٣٥].

يدفع هذا التضارب في الروايات إلى الظن بأن الأشتر كان يسوقه دافع أساسي هو العداء لقريش خصوصاً وأنه سيظهر في مجالات أخرى، وأنه سعى للإطاحة بالخليفة السابق رغم فضائله الشخصية لأنه يمثل سيادتها، وجهد لتأمين البيعة للخليفة الجديد لأنه أخف الأضرار عليه لسهولة قبول الجماعة به، وكونه نسباً ينتمي للبطن القرشي المنافس لبطن عبد شمس، مما يجعله في نظر أصحاب عقلية قبلية كالأشتر أكثر ميلاً من غيره للتسامح مع المتهمين بقتل عثمان أو المساعدين على قتله.

دور الأشتر قبيل موقعة الجمل :

ومهما يكن من أمر، بدا الأشتر صاحب كلمة مسموعة لدى علي، إذ كان أول شيء فكر فيه بعد أن فرغ من بيعة أهل المدينة اختيار عمال على البصرة والشام ومصر، أما الكوفة فإن الأشتر كلمه في أبي موسى الأشعري فأقره وأثبته لأنه كان رضىً لأهل الكوفة[٣٦].

بعدها ظلت العلاقات بين الأشتر والإمام علي تتراوح بين التوتر والتوافق، ولما أتى الخبر عن اجتماع عائشة وطلحة والزبير، سار علي (ر) باتجاه البصرة ثم عسكر في ذي قار لحشد الأتباع، وأرسل رسله إلى الكوفة لاجتذاب المترددين من أهلها إلى صفوف علي، فوجدوا أميرها أبا موسى راغباً عن الفتنة كارهاً للقتال مخذلاً للناس عن نصرة علي (ر)، بالرغم أنه كان قد بايع علياً وأخذ له بيعة أهل الكوفة، لذلك أرسل الإمام علي إليه

يلومه ويُعنّفه ويعزله عن عمله، وأرسل الحسن بن علي وعمّار بن ياسر يستنفران الناس، ويروي الطبري وغيره أن الأشتر استأذن علياً (ر) أن يلحق برسله فأذن له، فلما بلغ الكوفة جمع نفراً من قومه وأغار بهم على قصر الإمارة، فاقتحم على أبي موسى وطلبوا منه اعتزال عمله بقولهم : «وتنح عن منبرنا واخرج من قصرنا » واضطر أبو موسى إلى اعتزال العمل وخرج من الكوفة، ونفر أهل الكوفة لنصرة إمامهم فأتوه حيث كان ينتظرهم بذي قار[٣٧].

ثم بدا التوتر في العلاقات بين الطرفين مضمراً حيناً وسافراً أحياناً أخرى، فبينما كانت الرسل تتردد بينه وبين طلحة والزبير، أمر الناس بالاستعداد للرحيل والمواجهة من دون قتلة الخليفة عثمان ومن أعانهم بقوله: « ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس »[٣٨]. فاجتمع نتيجة ذلك نفر فيهم الأشتر في عدة ممن سار إلى الخليفة عثمان ورضي بسير من سار وجاء معهم المصريون : ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا فيما يفعلون إذ أن علياً (ر) هو أقرب من يطلب قتلة الخليفة عثمان، وهو يقول ما يقول رغم أنه لم ينفر إليه إلاّ هم والقليل من غيرهم فكيف يقول ويعمل إذ اجتمع عليه الناس وأصبحوا هم قلّة، وكان أول رأي للأشتر «أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما (أي يطلبون قتلة عثمان) وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، ورأي الناس فينا والله واحد، وأن يصطلحوا وعلي فعلى دمائنا، فهلموا نتواثب على علي فنلحقه بعثمان فتكون فتنة يرضى منا فيها بالسكون[٣٩].

لكن هذا الحل لم يلق قبولاً من عبد الله بن سبأ والآخرين، وكذلك كان مصير رأي آخر يقول أن ينسحبوا من صف الإمام علي مع الكوفيين وهم كثر، مما يجعل صف علي أضعف ويضعف الطرفان أيضاً بطول القتال، بينما ينسحبون هم إلى مكان ويمتنعون فيه عن الناس، بينما رأى آخرون البقاء حيث هم ليقاتلوا، وساد هذا الرأي الذي وافق عليه عبد الله بن سبأ وهو يرمي إلى التعجيل بضرب الطرفين ببعضهما، مما يشغلهم عن التفكير في أمر قتلة عثمان والمساعدين عليه وذلك بقوله : «إن عزكم في خلطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ولا تفروا نحوهم، فإذا أمنتم معه لا يجد

بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما يكرهون، وأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون»[٤٠].

ثم أتى الأشتر خبر استعمال الإمام علي، عبد الله بن عباس على البصرة فغضب، «وقال: علام قتلنا الشيخ؟ إذ اليمن لعبيد الله بن عباس والحجاز لقثم بن عباس والبصرة لعبد الله، ثم دعا بدابته فركب راجعاً»، وبلغ ذلك علياً (ر) فنادى الرحيل ثم أجد السير فلحق به، فلم يره أنه قد بلغه عنه وقال : ما هذا السير؟ سبقتنا وخشي أن ترك والخروج أن يوقع في أنفس الناس شراً[٤١].

يتابع سيف في رواية أخرى تنفيذ هؤلاء ما اتفقوا عليه عندما التقى الجمعان حول عائشة، والجمع حول علي (ر)، وانجلى تبادل المندوبين وحوار الطرفين عن الاتفاق على عدم القتال في آخر جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه، على ذلك أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ما خلا أولئك المتورطين بقتل عثمان فباتوا على الصلح هانئين، أما المتورطون فتصف الرواية وصفهم وعملهم بالقول: «وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر، واستسرّوا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس، وما يشعر بهم جيرانهم، انسلُّوا إلى ذلك انسلالاً وعليهم ظلمة، فخرج مُضَرِيُّهم إلى مُضَرِيِّهم، ورَبعيُّهم إلى رَبعيِّهم ، ويمانيُّهم إلى يمانيِّهم، فوضعوا فيهم السلاح»[٤٢] وبذلك نشبت الحرب التي أرادوها.

دور الأشتر يوم الجمل سنة ٣٦ هـ

يروي أبو مخنف عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: مشيت يوم الجمل آخذاً بخطام الجمل ومر بي الأشتر فعرفته فسقطنا جميعاً وناديت :

اقتلوني ومالكا   واقتلوا مالكا معي

فلو يعلمون مَنْ مالك لقتلوه وإنما كان يعرف بالأشتر [٤٣] ، وضرب الأشتر ضربة في رأس عبد الله بن الزبير ظل أثرها باقياً برأسه، وقيل إن عائشة أعطت من بشرها بسلامة ابن اختها عبد الله مالاً؛ ولما قابل الأشتر السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: يا أشتر ، أنت الذي أردت قتل ابن أختي يوم الوقعة ؟ فأنشد يقول :

أعائش لولا أنني كنت طاوياً ... ثلاثاً لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه ... بآخر صوت اقتلاني ومالكا
فنجاه مني أكله وسنانه ... وخلوة جوف لم يكن متمالكا [٤٤]

بعد موقعة الجمل دخل الإمام علي (ر) البصرة، وبعد تلقي البيعة عمد إلى بيت المال فقسم ما وجد فيه على الناس غالبين ومغلوبين، ولعل ذلك أغضب الثائرين على عثمان لأنه لم يفرق بين شيعته وبين عدوه وغضبوا ، وخرجوا من البصرة إلى الكوفة غاضبين .

ويبدو أن الأشتر كان غاضباً أيضاً، ففي رواية نخعية تنسب إلى عمير «لما أراد علي أن يسير إلى الشام إلى صفين اجتمعت النخع فأتوا الأشتر في منزلة حتى ملؤوا عليه داره ! فقال الأشتر : هل في البيت أو الدار الإنخعي، قالوا: لا ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال إن هذه الأمة عمدت إلى خيرها أو لخيرها فقتلته - يعني عثمان - ثم سرنا إلى أهل البصرة، قوم لنا عليهم بيعة فنكثوها ، فنصرنا عليهم بنكثهم. وأنتم تسيرون إلى أهل الشام، قوم ليس لكم عليهم بيعة، فلينظر امرؤ أين يضع سيفه» [٤٥].

دور الأشتر في موقعة صفين

ويبرز الدور الأهم للأشتر في موقعة صفين مشورة ومشاركة عسكرية متميزة، وكانت أولى خطوات الإمام علي بن أبي طالب إرساله سفيراً إلى معاوية بن أبي سفيان يدعوه إلى الطاعة، واختار الصحابي جريراً بن عبد الله البجلي، وأرسله إلى معاوية، أما اليعقوبي فيذكر أن جريراً «طلب من علي أن يوجهه إلى معاوية، فإن جلّ قومي معه فلعلي أجمعهم على طاعتك»، فأشار الأشتر على أن لا يبعث جريراً، فلما عاد جرير

وأخبر بخبر معاوية واجتماع أهل الشام معه، فقال الأشتر لعلي: قد كنت نهيتك أن تبعث جريراً، وأسمع الأشتر جريراً ما يكره مما أغضبه واعتزل علياً(٤٦).

وبعد إخفاق السفراء بين علي ومعاوية ، استبان أمر الحرب، وقدم علي طلائعه، وهنا تبدأ مشاركات الأشتر العسكرية ، فقد خرج الأشتر في ثلاثة الآف واتجه إلى الرقة وأرغم أهلها على عمل جسر على الفرات ليعبر عليه علي وأصحابه بعد أن امتنعوا، فأقسم بالله ليجرد السيف منهم ، فنصبوا الجسر وعبر عليه أصحاب علي ثم علي ثم آخرهم الأشتر(٤٧).

في الجولة الأولى وجه الإمام علي مجموعة وكان عليها شريح بن هانئ وزياد بن النضر، لقيا أبا الأعور السلمي، ثم أرسل الأشتر وقال : إذا قدمت عليهم فأنت عليهم، ونص كتاب علي: (أما بعد، فإني قد أمرت عليكما الأشتر فاسمعا له وأطيعا ، فإنه ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم ، ولا الإسراع إلى ما البطاء عنه أمثل، وقد أمرته بمثل الذي كنت أمرتكما به، ألاّ يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويغدر إليهم).

فطلب الأشتر مبارزة أبي الأعور السلمي قائد الطليعة الأولى لجيش معاوية فرفض وقال : إن خفة الأشتر وسوء رأيه حملاه على إجلاء عمال عثمان عن العراق، وتقبيح محاسنه، وسار إليه في داره حتى قتله فأصبح معتقاً بدمه لاحاجة لي في مبارزته»(٤٨).

كما كان للأشتر حسب الرواية دوره الأساسي في تأمين عبور الجيش للنهر من مكان مناسب، وتضيف له دوراً مماثلاً في تأمين استقاء الجيش من ماء النهر، فكان معاوية قد نزل ومن معه على الفرات على شريعة سبقوا إليها، ولم يكن هناك شريعة غيرها، ومنعوا الماء عن أصحاب علي، وصف قائد الطليعة أبو الأعور السلمي الخيل والرجال حول الماء، فأرسل علي سفراءه إلى معاوية يطلبون إليه أن يخلي الماء يشرب منه الجيشان، رفض

معاوية فلم يكن بد من القتال حول الماء، فأقبل الأشتر في جمع عظيم واشتد القتال، وأتيح النصر لأصحاب علي فغلبوا خصمهم على مورد الماء وفي ذلك يقول الشاعر :

يا أشتر الخيرات يا خير النخع   وصاحب الأمر إذا عم الفزع
وكاشف الكرب إذ الأمر وقع   إن تسقنا فماذا بالبدع
أو نعطش اليوم فخير منقطع   فذاك إن شئت وإن شئت فدع(٤٩)

أما في مرحلة المواجهة بين الجيشين في صفين في صفر من سنة ٣٧ هـ؛ وظلت بدءاً من الأربعاء سبعة أيام كمبارزات فردية واحتدم القتال، خرج الأشتر بيومين فيهما لمبارزة حبيب بن مسلمة الفهري دون نتيجة لأحدهما (٥٠). ثم احتدم القتال العام والشديد لمدة ثلاثة أيام ولياليهن كانت آخرهن ليلة الهرير تشبيهاً لها بموقعة القادسية، وكانت يوم الخميس أو الخميسية كما سميت، واستمر القتال بعدها إلى ضحى يوم الجمعة ١٢ صفر عندما توقفت بعد رفع الشاميين للمصاحف داعين للتحكيم.

يتفق كل من أبي مخنف في الطبري ونصر بن مزاحم في وقعة صفين وابن الأعثم الكوفي في تاريخه، في إبراز الأشتر وكأنه قطب الرحى لطرف الإمام علي في الحرب الدائرة، وتجعله صاحب الدور الحاسم في تحويل هزيمة ميمنة علي إلى الاقتراب من النصر لولا التحكيم.

ولعل أول ما يلاحظ في هذا المجال كون الثلاثة من أنصار آل علي، ويضيف بعضهم إلى ذلك عصبية للكوفة كأبي مخنف وابن الأعثم، مما يجعل الانحياز لديهم شبه مؤكد. ومما يضعف الثقة فيما يوردونه طابعها القصصي، إذ تورد رواية بتفاصيل وكأنها تعرض سيرة بطل بما يتخللها من أشعار تمجيد ينسب بعضها للأشتر كقوله:

إني أنا الأشتر معروف الشتر   إني أنا الأفعى العراقي الذكر
لست من الحيين ربيعة ومضر   لكنني من مذحج الحيّ الغرر

كما شابت هذه التفاصيل مبالغة واضحة، كقول ابن الأعثم بأسلوبه القصصي : «قال: فتقدم علي ومعه نيف على عشرة آلاف من بني مذحج ممن يريد الموت قد وضعوا أسيافهم

على عواتقهم ما يبين منهم إلا الحدق، وعلي - رضي الله عنه - يقدمهم وهو يقول شعراً، فيتبعه عدي بن حاتم الطائي بشعر أيضاً ثم يختم المشهد بشعر الأشتر»[٥١].

وهنا يلاحظ مدى التصنع في جعل القادة يتناشدون الأشعار، وكذلك المبالغة في عدد مقاتلي قبيلة واحدة (مذحج)؛ كذلك تبدو المبالغة في دور الأشتر واضحة، إذا عرف دوره في سلم القيادة الذي لا يمكنه من لعب الدور المنسوب له، إذ أن جميع المصادر تتفق على أنه لم يكن قائداً لأي قسم من أقسام الجيش الأساسية: مقدمة، قلب، ميمنة، ميسرة، ساقة، لكنها تختلف فيما بينها بمرتبة القيادة التي حازها، فإن خليفة بن خياط، الذي يتمتع بدرجة عالية من الثقة، على قيادة صغرى ضمن فإن ما يزيد عن عشرين قيادة وهي قيادة المنضوين تحت لواء الإمام علي من قبيلته مذحج[٥٢]، فإن تلك المنحازة للكوفة وآل علي ترفع رتبته ضمن القيادات الصغرى، كادعاء أبي مخنف أنه كان على خيل الكوفة أو أنه كان على رجالة القلب[٥٣].

الأشتر والتحكيم

عندما رفع أهل الشام المصاحف ودعوا إلى تحكيم كتاب الله، قالوا: نجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ وننيب إليه. وروى أبو مخنف «أن علياً قال : عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم. قال له جماعة من الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا علي، أجب إلى كتاب الله عزّ وجلّ إذا دعيت إليه وإلا ندفعك برمتك إلى القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عفان ؟ وابعث إلى الأشتر فليأتك ، فأرسل علي إلى الأشتر : أن ائتني ، فقال الأشتر للمبعوث : قل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي ، إني قد رجوت أن يفتح لي فلا تعجلني، فرجع المبعوث (يزيد بن هانئ)، فأعادوا القول لعلي: لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان؛ فأقبل الأشتر ويقول : يا أهل العراق، يا أهل الذل والوهن، فإني قد طمعت في النصر»[٥٤].

اتفق الطرفان على التحكيم، فاختار الإمام علي حكماً ابن عباس فأبى أصحابه، ثم اختار الأشتر لأن اجتهاده في الحرب كان عظيماً وحرصه على النصر شديداً، فرفضوا وقالوا : وهل سَعَّر الأرض غير الأشتر، وهل نحن إلا في حكم الأشتر ؟ ولم يقبل عرض الأحنف بن قيس أن يكون مندوبه في التحكيم، فقد فرض عليه أصحابه وشيعته أن يعين أبا موسى الأشعري والي الكوفة مندوباً إلى التحكيم[٥٥].

رفض الأشتر أن يوقع علي صحيفة التحكيم وقد «قال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خط لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادعة»، وقيل لعلي: إن الأشتر لا يقر بما في الصحيفة ولا يرى إلا قتال القوم ، قال علي: وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا ، ياليت فيكم مثله اثنين، ياليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوي ما أرى، إذاً لخفت عليّ مؤونتكم، وكنت وأنتم كما قال الشاعر :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أَرْشُدِ

وكان معاوية إذا قنت لعن علينا وابن عباس والأشتر وحسناً وحسيناً[٥٦].

ثم عاد الأشتر بعد صفين إلى عمله بالجزيرة الفراتية على نصيبين، ويذكر البلاذري غارات الأشتر على الفرات ومدنه في الجزيرة ضد الضحاك بن قيس الفهري الذي بعثه معاوية وكان القتال بينهم شديداً[٥٧].

تعيين الأشتر على مصر ووفاته :

وعندما فسدت مصر على محمد بن أبي بكر، وبلغ علياً توثبهم عليه قال: ما لمصر إلا أحد الرجلين : صاحبنا الذي عزلناه عنها بالأمس يعني قيس بن سعد أو مالك بن الحارث الأشتر، فكتب إليه «أما بعد، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم، وأسدد به الثغر المخوف، وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه خوارج وهو غلام حديث السن، فأقدم عليّ لننظر فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك».

ودخل مالك على الإمام علي (ر) الذي قال له: «ليس لها غيرك فاخرج، فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهمك، واخلط الشدة باللين، وأرفق ما كان الرفق أبلغ، واعتزم على الشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة».

وتهيأ الأشتر للذهاب إلى مصر، وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر مصر، فعظم عليه الأمر، فبعث إلى رجل من أهل الخراج تطلق عليه رواية الطبري الجايستار وقال له: إن الأشتر قد وليّ مصر، فإن كفيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فخرج الجايستار حتى أتى القلزم وأقام به ، فخرج الأشتر حتى أتى القلزم حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز، فأتاه الدهقان بعلف وطعام، حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل وقد جعل فيها سماً فسقاه إياه، فلما شربها، وقد كان معاوية قال لأهل الشام لما دس إليه : ادعوا على الأشتر فدعوا عليه، فلما بلغه موته قال : ألا ترون كيف استجيب لكم [٥٨].

وقد كتب علي بن أبي طالب إلى من بمصر من المسلمين كتاباً فيه وصف للأشتر: «سلام، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيام الخوف ولا ينكل من الأعداء حذار الدوائر، لا ناكل عن قدم، ولا واه في عزم، من أشد عباد الله بأساً وأكرمهم حسباً، أضر على الفجار من حريق النار، وأبعد الناس من دنس أو عار، وهو مالك بن الحارث الأشتر، لا نابي الضريبة ولا كليل الحد، حليم في الجد، رزين في الحرب، ذو رأي أصيل وصبر جميل، فاسمعوا وأطيعوا أمره [٥٩].

ولما بلغ علياً موت الأشتر « قال : إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكاً فقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقي ربه».

وعن أشياخ النخع، «قالوا: دخلنا على علي حين بلغه موت الأشتر، وكان يتلهف ويتأسف عليه ويقول: لله در مالك، وما مالك لو كان جبلاً لكان فنداً (الفند المنفرد من الجبال) ولو كان حجراً لكان صلداً، على مثل مالك فلتبك البواكي، فمازال علي يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به من دوننا، وقد عرف ذلك في وجهه أياماً» .

إلى جانب هذه الرواية التي يعود أكثرها لأبي مخنف والذي سلف القول عن اتجاهه وعصبيته، توجد روايات أخرى تتعارض معها جزئياً أو كلياً، فيذكر الكلبي أن مقتل الأشتر كان من قبَل امرأة أطعمته سماً فشرب عليه عسلاً فمات[٦٠]، وفي رواية يوردها ابن عساكر مرفوعة إلى الشعبي، أن الأشتر سار نحو مصر عبر الجزيرة العربية ومر بالمدينة «فأتبعه مولى لعثمان (ر) يُقال له نافع فخدمه وألطفه، فقال له الأشتر: من أنت؟ فقال: أنا نافع مولى عمر بن الخطاب. قال: وكان الأشتر محباً لعمر بن الخطاب (ر)؛ فأدناه الأشتر وولاه أمره كله فلم يزل معه كذلك حتى نزل الأشتر عين شمس، وتلقاه أشراف مصر، فتغدى الأشتر بها وأتي بسمك فأكل منه، ثم استقى فانطلق نافع وحصل له على عسل وألقى فيه سماً، فشربه الأشتر منه فانبتت عنقه فمات»[٦١].

وتأتي رواية الكندي المرفوعة إلى الشعبي أيضاً لتلقي ضوءاً مختلفاً على قضية تعيينه، ففيها أن الذي سعى في تعيينه هو عبد الله بن جعفر الذي قال: «كنت إذا أردت أن لا يمنعني علي شيئاً قلت بحق جعفر. فقلت له: أسألك بحق جعفر ألا بعثت الأشتر إلى مصر، فإن ظفرت فهو الذي تحب وإلا استرحت منه، وكان قد ثقل عليه وأبغضه وقلاه. قال: فولاه وبعثه، فلما قدم قلزم مصر مستهل رجب سنة ٣٧هـ لقي بها بما يلقى به العمال هناك فشرب شربة عسل فمات»[٦٢]، وقيل أيضاً إنه استشار ابن عباس حول الموضوع وكيف به بعدما قد كان فأجابه: «احمل العبد على الفرس فإن هلك هلك وأن ملك فلك»[٦٣].

خاتمة

يمثل بروز الأشتر على مسرح الأحداث ودوره فيها مسيرة «الفتنة الكبرى» (٣٢-٣٧هـ/ ٦٥٢-٦٥٧م)، إذ بدأ بالظهور في بدايتها وتوفي في تاريخ قريب من نهايتها، ورغم تقلب الأحوال فيه والتذبذبات الصغيرة في سلوكه، إلا أن خط توجهه العام ظل ثابتاً وهو العداء لقريش نظراً لانفرادها بالسلطة وتميز أبنائها بالعطاء. وكان المعبر عن توجهات بيئته الكوفية وقبيلته النخع الناجمة عن ظروف إسلامها وتطور نظام الدولة العربية

الإسلامية بعد الفتوحات. وإذا تركنا جانباً تعظيم أصحاب العصبية للكوفة ولآل علي (ر) المناقض لنظرة خصوم هذا الاتجاه، فإن الانطباع العام السائد عنه لدى الغالبية كان سلبياً، فهو وإن لم يتهم بقتله لعثمان إلا أنه اعتبر عند الجميع قد ساعد عليه، كما أنه كان أحد المثيرين الرئيسيين للاقتتال بين المسلمين سواء في موقعة الجمل أو صفين. وقد عبّرت عن ذلك نسبة من جيش علي ذاته عندما رفضوا اقتراح علي بجعله مندوبه في التحكيم باعتباره مسعراً للحرب. وكان العديدون من أبناء قبيلته مساعدين له في هذا العمل، وقد عبرت عن هذا الانطباع عنه وعن قبيلته بشكل عام قصص تنبؤات أو تفسير أحلام ؛ فأبو زرارة بن قيس بن عمرو وفد على النبي ﷺ وقيل إنه سأل الرسول ﷺ عن تفسير حلمه بأنه خلف أتاناً في أهله ولدت جدياً، ورأى ناراً خرجت من الأرض فحالت بينه وبين ابن له، وفسر الرسول ﷺ له حلمه بأن أمة له ستلد ذكراً ، وفسر النار له بأنها فتنة ستكون بعد الرسول ﷺ يقتل فيها الناس إمامهم ويتقاتلون فيما بينهم، وأخبره «أنه إن مات أدركت ابنه وإن مات ابنه أدركته، فطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له بألا تدركه فدعا له». فكان ابنه عمرو بن زرارة النخعي أول خلق الله خلعاً لعثمان(٦٤) ، وبمثل ذلك توقع عمر بن الخطاب (ر) من الأشتر، فعندما دخل وفد مذحج على عمر بن الخطاب (ر) جعل ينظر إلى الأشتر فقال: كفى الله أمة محمد ﷺ شرّه ، والله إني لأحسب أن للمسلمين منه يوماً عصيباً(٦٥).

❁ ❖ ❁ ❖ ❁

أولاً : الهوامش

(*) تمثل سنة ١٤ هـ بداية ظهور الأشتر في اليرموك، أما الفتنة الكبرى فكانت سنة ٣٢هـ.

١ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج٦ ص ٢١٣؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، ج ٦ ص ٢٦٨، ت ٨٣٤٧؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ج٤ ص ٣٤ - ٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٩٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٦ ص ١٧٢-١٨١. دائرة المعارف الإسلامية المترجمة، ج٢ ص ٢١٠-٢١١.

٢ - ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، ج١ ص ٢٨٩؛ خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، ص ١٤٨ (يذكر أن النخع بن عمرو)؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٤١٤-٤١٥؛ القلشقندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠، ط٢، ص ٧٦-٧٧؛ السمعاني، الأنساب، ج٥ ص ٤٧٦.

٣ - الطبري، تاريخ، ج٣ ص ٢٤٠.

٤ - ياقوت، معجم البلدان، ج١ ص ٨٦، مادة «أبين»؛ ٥ ج ص ٦٧ «مخلاف أبين».

٥ - الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض، دار اليمامة (١٩٧٤) ص ١٨٣.

٦ - ابن سعد، الطبقات، ج١ ص ٣٤٦؛ الطبري، تاريخ، ج٣ ص ٢٤٠، أحداث سنة ١١هـ.

٧ - الطبري، تاريخ، ج٣ ص ٣٢٧ ، أحداث سنة ١١هـ.

٨ - الطبري، تاريخ، ج٣ ص ٤٨٤، أحداث سنة ١٤هـ.

٩ - الطبري، تاريخ، ج٣ ص ٥٨١، أحداث سنة ١٤هـ؛ نزار عبد اللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، بيروت، ص ١٩٥.

١٠- خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ١٩٨٢، ص ١٤٨؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٨٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤ ص ٣٩٣.

١١- ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٦ ص ٢٦٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦ ص ١٧٢.

١٢- ابن سعد، الطبقات، ج٦ ص ٢١٣.

١٣- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦ ص ١٧٤.

١٤- الطبري، تاريخ، ج٣ ص ٤٠١، أحداث سنة ١٣هـ.

١٥- ابن الأعثم، الفتوح، ج١ ص ٢٠٧-٢٠٨.

١٦- البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢ ص٣٤٦؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢ ص ١٤٢.

١٧- الطبري، تاريخ، ج٣ ص ٤٤١؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٢٠.

١٨- أبو عبيد، القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق خليل محمد هراس، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٣٢١-٣٢٣.

١٩- الطبري، تاريخ، ج٣ ص ٦١٣-٦١٧.

٢٠- المصدر السابق، ج٤ص ٢٨١، أحداث سنة ٣٠هـ.

٢١- نفسه، ج٤ ص ٢٧٩.

٢٢- نفسه، ج٤ ص ٣١٧-٣١٨.

٢٣- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٢٧٩، أحداث سنة ٣٠هـ؛ ابن الأثير ، الكامل، ج٣ ص ٥٣.

٢٤- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٣١٨-٣٢٣، أحداث سنة ٣٣هـ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ٦٩.

٢٥- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٣١٩-٣٢٣.

٢٦- المصدر السابق، ج٤ ص ٣٢٥، أحداث سنة ٣٣هـ.

٢٧- نفسه، ج٤ ص ٣٢٦.

٢٨- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٣٣٠، أحداث سنة ٣٤هـ، ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ٧٤.

٢٩- المصدر السابق، ج٤ ص ٣٣١.

٣٠- نفسه، ج٤ ص ٣٣٥، أحداث سنة ٣٤هـ.

٣١- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٣٧١- ٣٧٥، أحداث سنة ٣٥هـ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ٧٤.

٣٢- رواية محمد بن عمر، الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٣٧٨.

٣٣- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٣٨٣.

٣٤- الطبري، ج٤ ص ٤٠٣ و ٤٣٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢ص ١٧٨.

٣٥- عمر بن شبة النميري البصري، كتاب تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جدّة، دار الأصفهاني ١٣٩٣، ج٤ ص ١٢٣٦.

٣٦- اليعقوبي، تاريخ، ج٢ ص ١٧٩.

٣٧- الطبري، ج٤ ص ٤٨٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ١١٦-١١٨؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢ص ١٨١.

٣٨- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٤٩٣.

٣٩- المصدر السابق، ج٤ ص ٤٩٣؛ الهمداني: أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محب الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ج١٠ص١٢٦.

٤٠- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٤٩٤.

٤١- المصدر السابق، ج٤ ص ٤٩٢-٤٩٣.

٤٢- المصدر السابق، ج٤ ص ٥٠٦.

٤٣- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٥١٩، أحداث سنة ٣٦هـ.

٤٤- ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ١٢٨.

٤٥ - ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص ١٧٢.

٤٦- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٥٦١، أحداث سنة ٣٦هـ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢ ص ١٨٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ١٤٢.

٤٧- الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٥٦٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ١٤٤-١٤٥.

٤٨- المصدر السابق.

٤٩- ابن منظور، لسان العرب، ج٨ ص ١٧٥، مادة شرع.
الشريعة: المواضع التي ينحدر منها إلى الماء.
ابن الأعثم، الفتوح، ج٣ ص ٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢ ص ١٨.

٥٠- البلاذري، أنساب الأشراف، (ترجمة علي بن أبي طالب)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، إيران ، ص ٢١٣-٢١٤.

٥١- ابن الأعثم، الفتوح، ج٣، ص ١٧٢.

٥٢- خليفة بن خياط، تاريخ، ص ١٩٤-١٩٥.

٥٣- الطبري، تاريخ، ج٥ ص ٢١-٢٢-٤٧-٤٩، أحداث سنة ٣٧هـ.

٥٤- المصدر السابق، ج٥ ص ٤٩-٥٠.

٥٥- نفسه، ٥ ص ٥١.

٥٦- الطبري، تاريخ، ج٥ ص ٥٩-٧١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ١٦٣-١٦٨؛ نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص ٦٢٥-٦٢٨.

٥٧- البلاذري، أنساب الأشراف (ترجمة علي)، ص ٣٠٣ و٣٦٩.

٥٨- الطبري، تاريخ، ج٥ ص ٩٦ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص ١٦٨و١٧١؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٣٥م، ١ج، ص ١٠٢-١٠٥.

٥٩- أبي إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، كتاب الغارات، تحقيق السيد جلال الدين المحدث، طهران، ١٣٩٥هـ.

٦٠- أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب مَعد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، بيروت ، عالم الكتب، ١٩٨٨، ج١ ص ٢٩١-٢٩٢.

٦١- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٦، ص ١٨٠.

٦٢- أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨، ص ٢٣-٢٤.

٦٣- ابن شبة، تاريخ المدينة، ج٤ص١٢٣٦.

٦٤- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق البجاوي، ج١ص ٥٥٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١ ص ٥٢٩.

٦٥- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٦ ص ١٧٤.

ثانياً : المصادر والمراجع

- **ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)**

  الكامل في التاريخ، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠م.

- **أبو إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي،**

  كتاب الغارات، تحقيق السيد جلال الدين المحدث، طهران، ١٣٩٥هـ.

- **ابن الأعثم (أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي) ت ٣١٤هـ/٩٢٦م.**

  الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

- **البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)**

  ١ - فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

  ٢ - أنساب الأشراف، ترجمة علي بن أبي طالب، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، إيران.

- **ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي)**

  النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م.

- **ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).**

  الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

- **ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي، ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)**

  جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- **خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠هـ)**

  كتاب الطبقات، تحقيق. أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، ١٩٨٢م.

- **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة ، دار الفكر.**

- **الدينوري (أحمد بن داود) ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م.**

  الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦٠م.

- **الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي) ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م.**
 - سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، عهد الخلفاء الراشدين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

- **ابن سعد (محمد بن سعد) ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م.**

 كتاب الطبقات الكبرى، تقديم. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- **السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي) ت ٥٦٢هـ.**
 - الأنساب، ط١، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م.

- **ابن شبة (عمر بن شبة النميري البصري)، ت ٢٦٢هـ/٨٧٦م.**

 تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الأصفهاني للطباعة، جدة ١٣٩٣هـ.

- **الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، ت ٣١٠هـ/٩٢٢م.**

 تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

- **ابن عبد البر .**

 الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق البجاوي.

- **أبو عبيد (القاسم بن سلام) ت ١١٤هـ/٨٣٨م.**

 كتاب الأموال، تحقيق خليل محمد هراس، القاهرة، ١٩٦٨م.

- **ابن عساكر (القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي) ت ٥٧١هـ/١١٧٥م.**

 تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها. صورة عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق، المجلد ١٦.

- **ابن قتيبة الدينوري (عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م.**

 المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

- **القلقشندي (أحمد بن عبد الله، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).**

 نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠م. ط٢.

- **ابن الكلبي (أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب) ت ٢٠٤هـ/٨١٩م.**

نسب معد واليمن الكبير، تحقيق، ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

- **الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي).**

كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م.

- **المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي) ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م.**

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.

- **ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) ت ٧١١هـ/١٣١١م.**

لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

- **نزار عبد اللطيف الحديثي**

أهل اليمن في صدر الإسلام، بيروت ، (د.ت).

- **نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ/٨٢٧م).**

وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨١م.

- **الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني).**
  - صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٤م.
  - الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محب الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.

- **ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م.**

معجم البلدان، خمسة أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

- **اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/٨٨٨م.**

تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.